مَدرسَة الأزوَاج

أشخاص المسرحية

إسكاناريل	:	شقيقان
أريسْت	:	
إيزابيل	:	شقيقتان.
ليونور	:	
ليزات	:	مرافقة ليونور.
فالير	:	عاشق ايزابيل.
أرْكاسْت	:	خادم فالير.

المفوّض.

الكاتب العدل.

الأحداث تجري في باريس.

الفصل الأوّل
المشهد الأوّل

إسكاناريل، وأريست

إسكاناريل : لِنكفَّ عن الجدل، يا اخي، ولْيعشْ كل منّا كما يحلو له. وإن تكنْ أصغر مني سنّاً، إحسبْ نفسك متقدماً عليّ في العمر، وكُنْ حكيماً. مع ذلك أصارحك بأني لا أنوي التقيّد بنصائحك، لأني مصمّم على اتّباع هواي والعيش كما يطيب لي.

أريسْت : لكن إعلمْ ان الجميع يدينون طريقتك هذه.

إسكاناريل : أجل، كلّهم مجانين، وهم يشبهونك.

أريسْت : أشكرك كثيراً على مديحك هذا اللطيف.

إسكاناريل : كم أودّ أن أعرف ما يقصده بالضبط منتقدو سلوكي.

أريسْت : مزاجك الصارم الغريب الاطوار حيال المجتمع المساير، يبرزك بمظهر مُنَفِّر، حتى ان ملابسك بالذات تُضفي عليك شكلاً بربريّاً.

إسكاناريل : لا أنكر اني لا أتبع ازياء معظم الناس، لأني لا أحبّ مماشاة تَفنّن الأكثرية. فأنت اخي الكبير، وأشكر الله على كونك تتقدّمني بعشرين عاماً، الأمر الذي مع ذلك لا يستحقّ الذكر. ولكن لا تحاول ان تقنعني بأن أضع على رأسي قبعة صغيرة تكشف القسم الأكبر من رأسي وتعرّضه للرياح التي تعصف بشعري الأشقر وتضرب به وجهي، وأن أرتدي القيمص الضيّق الذي

يخنق انفاسي والسترة العريضة التي تنزل حتى خصري بأكمامها المتدلّية التي تنغمس في مرق صحني حين أتناول طعامي، وكذلك السروال المنتفخ القصير والحذاء المختزل المحلّي بالاشرطة الحريرية التي تجعلني أشبه الحمام المنفوش الريش ولا سيما حول قائمتيه، وتلك الأكياس الضيقة التي تسجن الأفخاذ المحبوسة، فلا تتيح للمرء أن يمشي إلّا متباعد الرجلَيْن كأنه يقفز قفزاً. سيرضيك منظري بدون شك إن وافقت انا على ارتداء هذه الملابس السمجة، لأنك أنت تفضّلها رغم سخافتها.

أريسْت : لا يغربْ عن بالك، يا أخي، ان علينا أن نرتدي ما يليق بمحيطنا، وأن نتجنّب كل شذوذ في تصرّفاتنا وأحاديثنا، كما تقضي الحكمة علينا. فلا نقصد الخروج على العادات والتقاليد بغرائبنا البعيدة عن الأعراف. فأنا كما تعلم، ليس من طبعي أن أتبع السبل البعيدة عن أذواق الأغلبيّة، ولا أتبارى في اعتماد ما تتشبّث به القلّة فقط، فأكون كالمهووس الذي يعاكس وحده أسلوب الجميع.

إسكاناريل : كلامك يدل على كونك كالعجوز الذي يخفي شيبه تحت شعر مستعار فاحم السواد.

أريسْت : هذه رغبة غير مستحبّة تأصلت فيك فأنت تحاول دائماً ان تذكّرني بعمري وتلومني على اني لا أتصرّف في حياتي مثلك. كأن الشيوخ لم يبق أمامهم سوى الموت والغياب عن مسرح الوجود، نظراً الى ما ينتابهم من العجز والاهمال والتقصير في مجال حبّ الظهور والتحّلي بأحدث الملابس وتصنّع البهجة والرشاقة.

إسكاناريل : مهما يكن الأمر، أنا لا أنوي أن أغيّر مظهري وأفضّل ان لا تكون ملابسي على آخر طراز بل ان تكون بسيطة فضفاضة، وأضع في قدمي حذاءً مريحاً لا يؤلم رجلي، تماماً كما كان يفعل أجدادنا واسلافنا. ومن لا يعجبه هندامي، ما عليه إلّا أن يتغاضى عن النظر اليّ.

المشهد الثاني

ليونور، وايزابيل، وليزات، وأريست، وإسكاناريل

ليونور (**لإيزابيل**) : أنا أتكفّل بالردّ اللازم، اذا سخر منك أحد.
ليزات (**لإيزابيل**) : أراه دائماً يلزم غرفته ويتجنب مقابلة الناس.
إيزابيل : هذه طبيعته التي لا يحب تغييرها.
ليونور : اني أشفق عليك منه، يا أختاه.
ليزات : لا تدهشي إن كان مزاج اخيه يختلف عنه كلّيّاً، وقد خبّأ لك حظّك مصيراً أفضل، لأنك تُصرّين على عدم الخروج عن المعقول.
إيزابيل : من العجب أنه حتى اليوم لم يحبسْك، ولم يوصد عليك الباب بالقفل، أو يحجزك معه ويقيّد حريتك.
ليزات : لو كنت أنا مكانك لأَوْدَيْتُه الى الجحيم ...
إسكاناريل : الى أين سيصل بكما النقاش، يا ترى ؟
ليونور : لسنا ندري. كنت أضغط على اختي لكي تأتي الى هنا وتتنشّق هواء الإنعتاق المنعش. ولكن ...
إسكاناريل : يمكنكما ان تذهبا معاً حيث تريدان، لأنكما تبدوان منسجمتَيْن سويةً. أمّا أنا فأتحدّاكِ أن تخرجي الى حيث تشائين.
أريسْت : اتركهما، يا أخي، ولتذهبا حيث تتسلّيان.
إسكاناريل : انا رهن إشارتك، يا عزيزي.
أريسْت : اراك تريد ...
إسكاناريل : الشباب يحفل بالحماقة، وكذلك الشيخوخة أحياناً.
أريسْت : هل تعتقد أنها لا ترتاح الى صحبة ليونور ؟
إسكاناريل : كلا، بل أظنها ستكون بمعيّتي اكثر ارتياحاً. إنما ...
أريسْت : لكن ...
إسكاناريل : إنما لا بدّ لها من الخضوع لإرداتي، لأني أعرف جيداً كيف أهتم كما يجب بشؤونها.

أريسْت : وهل لي أنا أيضاً أن أشغل بالي بما تحتاج اليه ؟

إسكاناريل : يا الهي. كل واحدة تفكّر كما يحلو لها، وهما لا تباليان بغير ذلك. ووالدنا صديقهن، قد أوصانا قبل وفاته بالانتباه الى سلوكهما. وكلّفنا كلانا معاً إمّا بأن نتزوجهما، أو إن أبَيْنا، أن نسهر عليهما، لأننا نعرفهما منذ حداثتهما ولنا عليهما حقوق تشبه سلطة الأب أو الزوج، وان نوجّه مصيرهما كلتاهما بعناية ورعاية، وان اهتّم انا بنوع خاص بهذه، وأنت حسب مشيئتك ترعى شؤون من تميل اليها. فأرجوك أن تدعني أسهر على الأخرى كما يحلو لي.

أريسْت : يُخيَّل إليّ ...

إسكاناريل : ماذا يُخيّل اليك ؟ أنا أصرّح عالياً بأني أتكلّم بحقّ، ما يجب. أما أنت فيمكنك أن تدع فتاتك تتصرف بخفّة ودلال، بينما أنا لا مانع عندي أن تقتني جارية ومرافقة، وأن تتنزّه وتنعم بالراحة والإسترخاء، وان تغازل الفتيان بحرّية وجرأة، فهذا الأسلوب في الحياة يعجبني. مع ذلك أنا أصرّ على أن تكون حسنائي كثيرة الحيوية كما أرغب لا كما ترغب هي. وأن تكون أتبع لي من ظلّي، وأن لا ترتدي الملابس السوداء إلا في رابعة النهار فقط. وأن تلازم البيت كما تقضي عليها مبادئ الحكمة والرصانة. وأن تكون بارعة في تدبير أمور منزلها، تخيط وترفو في ساعات فراغها أو تحوك بعض الجوارب باجتهاد. وان تصمّ أذنيها عن أحاديث الهوى. وان لا تخرج ابداً وحدها بدون رفيقة، لأن الجسد ضعيف، وانا مرهف السمع، ولا أريد ان ينبت لي قرنان ما دمت شديد الانتباه والوعي. وبما إن ثروتها الطائلة تغريني، يلذّ لي ان اكون مسؤولاً عن ميولها، وأن ألبّي متطلّبات هيامها.

إيزابيل : ليس لديك موضوع آخر تتكلم عنه على ما ألاحظ ...

إسكاناريل : اسكتي، سأعلّمك عند اللزوم ان لا تتمرّدي وتحيدي عن طاعتي.

ليونور : ماذا تقصد، يا سيدي ؟

إسكاناريل : وحياتك، انا لا اوجّه اليك الكلام بخشونة، لأني واثق بأنك تتصرفين بحكمة وتبصّر.

ليونور : هل تجد من مانع أن ترافقنا إيزابيل ؟
إسكاناريل : اجل، لأنك بصريح العبارة، تفسرينها وتشوّهين اخلاقها، وزيارتك هذه لا ترضيني فتضطرينني هكذا الى عدم السماح لك بالمجيء الى هنا بعد الآن.
ليونور : هل تريد ان اخاطبك أنا أيضاً بصراحة ؟ أنا اجهل كيف تنظر الى كل ما تفضّلت وذكرته أمامي. لكنني اعلم جيداً ما تفعله قلّة الثقة بالناس. ومع ان دمها ودمي هما بالولادة من مصدر واحد فنحن كأختين لا نتشابه بتاتاً، لأن تصرفاتها كل يوم تجتذبها اليك بازدياد، وتدفعها الى هوس الغرام والهيام.
ليزات : بالفعل، كل هذه التضييقات التي تصدر عنك تولّد فيها الكراهية. اذ ليس سوى الاتراك من يسجنون النساء. لأنهم وحدهم يعتبرونهم كالعبيد الذين يكْفرون بالله العليّ العظيم. وانا لا أنكر يا سيدي، اننا ضعيفات لا بد من مؤازرتنا والسهر علينا باستمرار. لكن، هل تظن ان هذه الاحتياطات تنفع في منع ما ننوي تحقيقه من أمانينا ؟ في الواقع نحن النساء عندما نقصد عملاً لا يقوى اي رجل على صدّنا عنه، مهما كان شديد الوعي والفطنة. وإن حاول شلَّ حركتنا، تكون محاولته ضرباً من الجنون وتبوء بالفشل الذريع. فالأجدر بكم ان تولونا ثقتكم، ايها الرجال الأذكياء، ولا تغامروا في تعريضنا الى الشك المميت. فنسعى الى صيانة حقوقنا وشرفنا بوسائلنا الخاصة تلقائياً، ولا تحاولوا ان تلجأوا الى العنف لمنعنا عنوةً عن عمل ما نصمّم على بلوغه حتماً، لأن كيد النساء هو على الدوام أدهى من كيد الرجال.
إسكاناريل : اليك، ايها المعلم الخبير، ما تؤول اليه تربيتك التي لا تتساهل فيها ولا يرفّ لك جفن في فرضها بالقوّة.
أريسْت : حديثي، يا أخي، يضحكك. هي محقّة في ما تقدّمه من براهين دامغة. لأن الجنس اللطيف يحبّ التمتع بقليل من الحرية، ولا سبيل الى ضبط نزوات المرأة بالقسوة والخشونة. إعلم ان ما تصبو اليه انت من حفظه بالسياج والمزلاج، لا ينمّي فضيلتها، إن لم يردعها إباؤها وعزة نفسها عن الموبقات، وتحرّضها تربيتها السليمة على التشبّث بأهداب العفّة راضيةً، لا بالغضْب والاكراه. هذا امر غريب حقاً، احدّثك عنه بدون تبجّح، لأن المرأة لا تلتزم

جانب التعقّل مرغمة بل راضيةً. وعبثاً تحاول ان تتحكّم بأهوائها ما دام قلبها يدبّ حيث يحبّ، وإن جرّدتها من ميولها، لا احد يعلم الى اين تتّجه، ولا الى اين يوصلها جموح عواطفها.

إسكاناريل : كل هذا الكلام هراء، لا يخضع لأية قاعدة.

أريسْت : ربما. ولكن علينا ان نصلح إعوجاج الشباب باللين واللطف، وأن لا نرهقه باسم الفضيلة عن طريق الخوف والقسْر. فأنا قد طبّقت هذه الحكمة في تعاطيّ مع ليونور، ولم ألجأ الى القسوة حيال بعض ما بدر منها من حرية في سلوكها. وكنت دوماً متساهلاً في تحقيق رغباتها. فلم تؤدي بي الليونة والحمد لله الى الندم على ما فعلت. ولقد آلمني ان تجد الصحبة المسلّية واللهو والحفلات الساهرة والمسرحيات الهزلية التي أعتبرتها أداةً لتهذيب أذهان الشبان والصبايا كأنها مدرسة اجتماعية قائمة بذاتها، توطّد الأخلاق اكثر من اي كتاب مفيد. هي تحب ان تصرف بعض المال على الملابس والزينة. وانا اجتهد ان أحقق لها أمنياتها وأساير ذوقها. وكل هذه الترضيات يسعنا ان نؤمّنها لفتياتنا في أُسرَنا، لا سيما حين يريد الأب أن يزوج بناته حسب مشيئته. وها هي رغبة والدها تشجّعها على الاقتران بي. وانا لا أودّ ان أخالفه، لاني اعلم جيداً ان عمري غير المناسب يفوق سنّها. فأترك لها حرية الاختيار، بما أنا مستعد ان اغدقه عليها من المال الذي يناهز أربعة آلاف ليرة ذهبية سنوياً. وهكذا أؤمّن لنفسي ما ستجود عليّ به لقاءها من العطف واللطف والحنوّ، ويجعلها ترغب في هذا الزواج، ويعوّض لها عمّا بيننا من فارق السنّ. فتختار الإقتران بي، أو تبحث، إن شاءت، عن رجل سواي. أنا لا أنكر انها تستطيع ان تجد نصيباً افضل مني، ولا مانع عندي إن وقع اختيارها على غيري، هذا إن أبتْ أن تُزفّ اليّ.

إسكاناريل : ما أحلاك من عريس يستحق أروع شهر عسل مع أجمل عروس.

أريسْت : هذا مزاجي. وانا اشكر الله الذي أولاني هذه النعمة. لأني غير مستعدّ ان اتبع مفاد حِكَمك الصارمة التي تفضي الى جعل الزوجة والأولاد ينتظرون أجَل الآباء للتخلّص من جورهم وسيطرتهم، أو لوراثة اموالهم.

إسكاناريل : لا يغرب عن بالك ان الشباب عهد الحرية والمرح. وأنه لا

يتخاذل بسهولة امام اشواقه وأهوائه، وان عواطفه لا تنسجم ورغبتك عندما تفرض عليه تغيير عاداته.

أريسْت : ولماذا التبديل ؟

إسكاناريل : لماذا ؟

أريسْت : نعم، لماذا ؟

إسكاناريل : لست ادري.

أريسْت : هل هناك ما يسيء الى المروءة ؟

إسكاناريل : ماذا تقول ؟ اذا تزوجتها يمكنها أن تدّعي انها حرّة لتتصرّف على هواها.

أريسْت : وماذا يمنعها عن ذلك قبل الزواج وبعده ؟

إسكاناريل : ستضطر اذ ذاك الى مسايرة رغباتها حتى اقصى الحدود.

أريسْت : بدون اي شك.

إسكاناريل : وستنقاد الى طلباتها وشهواتها، وانت مضطرب الافكار، وستماشيها في سعيها الى الاستمتاع بالحفلات الساهرة والمجتمعات الصاخبة.

أريسْت : طبعاً.

إسكاناريل : وسيتقاطر على منزلك شبّان اللهو والسمر، ويحومون كالنحل حول العسل.

أريسْت : هل تعتقد ذلك ؟

إسكاناريل : ليُمعنوا في المتعة وتقديم الهدايا.

أريسْت : لا مانع من ذلك عندي.

إسكاناريل : وستصغي زوجتك الى المغازلات والمناجاة.

أريسْت : وما هي محاذيرها ؟

إسكاناريل : وستنظر أنت الى هذه الزيارات والاستلطافات بعين مزْوّرة لأنك واعٍ غير غافل ولا سكران.

أريسْت : هذا ليس بغريب.

إسكاناريل : اذاً، لا بدّ من ان يكون قد أصابك مسّ من الجنون. (**لإيزابيل**) ادخلي غرفتك كي لا تسمعي هذه الخرافات المقلقة.

أريسْت : انا اودّ ان أتّكل على شهامة زوجتي، وأواصل عيشي كما تعوّدته منذ صباي.

إسكاناريل : كم يسرّني ان اعلم أنك مخدوع.

أريسْت : انا لا أعلم إن كان حظي سيخذلني. لكني واثق بأني لن اكون هدفاً لأية ملامة، ما دمت دائم السهر على شؤوني، وأسعى باستمرار الى تتميم واجباتي على الوجه الأكمل.

إسكاناريل : لا تهتمّ اذاً، ايها الساخر المثالي. فكم يلذّ لي ان ابصر وأسمع رجل الستّين عاماً آسفاً نادباً سوء طالعه الذي يهرول اليه في كل مناسبة.

ليونور : انا أضمن له خلاف ما تتوقّعه انت اذا تزوج كما يتمنّى. وكن واثقاً بأنه سيكون قرير العين لو كنت انا زوجته.

ليزات : ان من يتّكل على ضميرنا يرقد قرير العين، ولو لم يكن ذلك في نظركم نصيباً مضموناً مباركاً.

إسكاناريل : تبّاً لكِ، يا صاحبة اللسان السليط والاخبار المشؤومة.

أريسْت : ما لك، يا اخي، تتلفّظ بهذه العبارات المزعجة. وداعاً. بدّل مزاجك وانتبه. فإن من شاء ان يضبط سلوك زوجته أرهقته المتاعب. على كل حال، أتمنى لك حظاً سعيداً.

إسكاناريل : وانا كذلك. ها هي الزمرة مجتمعة، بعضها يسامر البعض الآخر. فما أروع هذه الأسرة المتجانسة. شيخ قليل الاحساس يتبارى في ارضاء الصبايا، ويبعثر عواطفه تحت اقدام حسناء مغناجة تتحكّم بقلبه اللاهث سعياً وراء كنوزها. وهناك فساداً في حَرَم هذا المنزل السائب. فيتسنى هكذا للغادة اللعوب ايزابيل ان تجري وراء اشواقها بدون رادع ولا وازع، ولا تحرم ذاتها أطايب الدنيا. وإن أصاب شرف أسرتها نكسة، يمكننا أن ندعي بأننا نقوم كأصحاب حقّ في تفقد ما يخصنا من سلعٍ وخضراوات ودواجن.

المشهد الثالث

أرْكاسْت، وفالير، واسكاناريل

فالير : يا ارْكاسْت، هذا أرْكوس الذي اكرهه بسبب ما يبده من غيرة على الفتاة التي أعبدها، وهو الوصي القاسي عليها.
إسكاناريل : ألَا ترى ان تفشّي فساد الأخلاق أمر عجيب في هذه الأيام ؟
فالير : انا اودّ ان اتّصل به إن أمكن، كي انشئ صداقة متينة بيني وبينه.
إسكاناريل : لكن، بدلاً من أن تفسح له المجال لفرض قسوته حسب مبادئ المروءة الموروثة، على هذا المكان الذي يضجّ بالحرية المطلقة، يجدر بك ان ...
فالير : أظنّه لا يأبه لكونه هو المقصود بهذه الملاحظة.
أرْكاسْت : إحذر نظرته الشريرة الغادرة التي يسلّطها علينا. وهلّم نبتعد من هنا.
إسكاناريل : أجل، لا بدّ لنا من مغادرة هذا المكان. فان المكوث هكذا في المدينة لا يولّد فيَّ إلّا ...
فالير : من الضروري ان أبادر الى اقتحام مقرّه عنوةً.
إسكاناريل : كنت أظن ان الأمور تسير على ما يرام.
أرْكاسْت : هيّا إتّصلْ به وأنذرْه.
إسكاناريل : هل تريد ذلك حقّاً ؟ انا اشعر بطنينٍ في اذني. فالوقت يمرّ بسرعة، وبناتنا تكتفي ... هل هذا موجّه إلينا ؟
أرْكاسْت : ألَا اقتربْ.
إسكاناريل : الى هنا لا يجرؤ أحد أن يأتي ... تبّاً له من شيطان بغيض. ما هذا التهجّم السافر ؟
فالير : هل يضايقك هذا التدخل، يا سيدي ؟
إسكاناريل : ربما.
فالير : ارجوك ان تشرّفني بتعريفي الى شخصك، يا سيدي، إذ يسرّني

الاستماع الى حلو حديثك بعد السلام عليك بكل اعتزاز.
إسكاناريل : هذا ما يبهجني انا ايضاً.
فالير : ويفرحني أن أؤكد لك بصراحة واخلاص اني مستعد لتقديم كل خدمة تحتاج اليها.
إسكاناريل : أشكرك على تلطّفك.
فالير : يسرّني أن نكون جيراناً، وأتمنى أن نصبح أصدقاء أوفياء.
إسكاناريل : هذا لسان حالي انا ايضاً.
فالير : هل بلغتك الأخبار المنتشرة في البلاط الملكي والتي أعتبرها صادقة ؟
إسكاناريل : انا لا أهتم بها كثيراً.
فالير : لكن هذه الأنباء تشتمل أحياناً على ما يسترعي الانتباه، ويوقظ حبّ الاستطلاع. فهلّا ذهبت، يا سيدي، لترى مدى الاهتمام الذي يُحاط به مولد وليّ العهد ؟
إسكاناريل : لن أتأخر مطلقاً.
فالير : لا بد من الاعتراف بأن باريس تُخبّئ لنا أَلْف مفاجأة رائعة لا تجود بها المناطق البعيدة المنعزلة. قلْ لي : كيف تقضي اوقات فراغك ؟
إسكاناريل : بالانصراف الى تدبير شؤوني الخاصة.
فالير : الذهن يحتاج الى الراحة، وأحياناً ينهار الفكر نتيجة التعلّق بالأمور الجدّية. فماذا تفعل انت مساءً عندما تنسحب لتخلو بنفسك ؟
إسكاناريل : طبعاً ما يحلو لي.
فالير : بدون شك لا يسعك ان تقول سوى ذلك. جوابك صادق، والذوق السليم على ما يبدو، لا يميل إلّا الى التصرّف بشكل خاص لا يحيد عن هذا النحو. ولو لم اكن واثقاً بأنك كثير المشاغل لكنت ذهبت اليك لقضاء بعض الوقت بمعيتك بعد العشاء.
إسكاناريل : يا لك من رجل لبق مُقْنع.

المشهد الرابع

فالير، وأركاسْت

فالير : ما رأيك بهذا الجنون الغريب الأطوار ؟
أرْكاسْت : هو في حضوره عنيف، وفي غيابه لا يُؤمَن جانبه.
فالير : وهذا ما يثير حفيظتي.
أرْكاسْت : لماذا ؟
فالير : لأني احب ان ارى من أهواها تطغى عليها السلطة الوحشية، كالتنّين المتربّص الذي لا يدع مجالاً للتمتّع بأية روعة.
أرْكاسْت : هكذا ينمو أمل هيامك ويساعد على تحقيق أمانيك الكبيرة ألَا فاعْلم، لكي تكون ثابت الجنان، أنّ المرأة التي لا تكتسب أنت إلّا نصف ثقتها وعطفها، مثل جَوْر الأزواج والآباء، يعمل دوماً على مضاعفة مكاسب عاشقها الولهان. وبما أني لا أتبجح مطلقاً، وهذا جوهر علّتي، تراني لا أتقن الغنج والدلال. إلّا أني ساندت مراراً مساعي الباحثين عن الأفراح والليالي الملاح، فصادفتُ بعض الأزواج المزعجني الذين بدون احتجاج ولا صراخ، يعودون دوماً الى بيوتهم بهدوء. وبصفتهم معارضين مُدَجَّنين لا يفوزون بحق ولا بباطل حيال زوجاتهم، ولا يمكنهم أن يضبطوا سلوكهن لأنهم لا يتحلّون بعزم الرجال إلّا بالاسم فقط حين يَغُضُّون الطرف عن تسلّل العشّاق الماجنين الذين يدوسون خلسةً حرمة وثاق الزواج المقدس، وهم يدّعون أن سكوتهم وتغاضيهم هو حتماً لصالحهم بغية تحاشي الفضائح الصاخبة. ولولا صمتهم لوصلت الامور بهم الى الشيطان الرجيم. وبكلمة وجيزة، هذا هو حال الحسناء ايزابيل بالنسبة الى وصيّها وولي امرها الصارم العنيد.
فالير : انا أهواها منذ اكثر من اربعة اشهر، وحتى اليوم لم أجد فرصة لمحادثتها لحظة واحدة.
أرْكاسْت : الحب يبعث على الاستنباط ويمهّد تفتّق الحيلة، خلافاً لما هو حالك. ولو كنت أنا مكانك ...

فالير : ماذا كنت اجترحت من المعجزات ؟ فكما تعلم جيداً، لا سبيل الى مشاهدتها بعيداً عن هذا الوحش الضاري الذي يلازمها باستمرار. وبما ان ليس لديها من جيران أو خَدَم أشتري مؤازرتهم باغداق الهدايا والمكافآت السخية عليهم، كي يساعدون على الاجتماع بها وإرواء شوقي اليها ...

أَرْكاسْت : هي اذاً الى الآن لا تعلم بأنك تهواها.

فالير : لست على يقين من هذا الأمر المشكوك به. إذْ أني كإنسان غيور، حيثما إصطَحَبَ المستبدّ هذه الحسناء تراني على الدوام أُلْزم لها من ظلّها أسدّد أنظاري الى عينيها النجلاوين، وأحاول في كل مرة بدون جدوى ان اعبّر لها عن غرامي واشواقي. وهكذا تخاطب عيناي أَلْحاظها طويلاً بدون ان أتوصّل الى الوثوق بأنها أدركت أخيراً ما أودّ أن ابلغها اياه من حرارة توْقي وهيامي.

أَرْكاسْت : هذه الحرارة تستعصي على الأفهام أحياناً، إذا لم تعتمد على وسائل الكتابة والمخاطبة الصريحة.

فالير : وكيف العمل للخروج من هذا المأزق الحرج، والوقوف على كون غادتي قد أدركت اني أُقدّس حبّها ؟ أرجوك ان تنوّرني في هذا الموضوع الدقيق العويص الذي لا يزال في نظري غامضاً.

أَرْكاسْت : هذا ما سأحاول البحث عنه. تعال ندخل الى منزلك كي يتسنى لنا ان نتكلم بحرية ووضوح.

الفصل الثاني
المشهد الأول

ايزابيل، وإسكاناريل

إسكاناريل : انا أعرف البيت وساكنيه حسب ما وصفته انت لي.

إيزابيل (**على حدة**) : يا إلهي، ارجوك ان تساعدني في هذا النهار بالذات على الاهتداء الى خطة اكيدة لجلاء امر هذا الحب البريء الذي لا يزال خافياً على إدراكي.

اسكاناريل : لقد أخبرتني، كما قيل لكِ، ان اسم عاشقها فالير.

ايزابيل : نعم، نعم.

اسكاناريل : فهلا أرحتِ بالك وتركتني أتصرف كما يلزم. فمنذ لحظة خاطبت انا بنفسي هذا الطائش المحتال.

ايزابيل : أنا كفتاة واعية خطّطتُ مشروعاً جريئاً لبلوغ غايتي. لكن نظراً الى الصرامة التي أُعامل بها، عليّ أن اجد عذراً للتذرّع به امام كل مستفسرٍ عاقل.

المشهد الثاني

اسكاناريل، واركاست، وفالير.

اسكاناريل : علينا ان لا نضيّع وقتنا الثمين. ها قد وصلنا. لكنْ من ذا الذي يتقدّم نحونا ؟ يخيّل اليّ اني في حلم. أرجوك ان تقف. هيا قِفْ، ايها الآتي. هيا قف حالاً. أنا لا أستغرب، بعد انتشار هذا الضوء، اذا لَمَحْنا بعض حركات لطيفة. غير أني أودّ ان استعجل، وأن أتبيّن هذا الأمل المهووس ... تبّاً لهذا الثور الضخم الذي يقصد أن ينقضّ علي ويصرعني أرضاً، ويعترض سبيلي محاولاً عرقلة سيري كأنه عقبة كأداء تسدّ طريقي.

فالير : انا متأسف، يا سيدي.

اسكاناريل : أهذا أنت ؟ وانا أبحث عنك في كل مكان.

فالير : عني أنا، يا سيدي ؟

اسكاناريل : نعم، عنك انت بشحمك ولحمك. ألَا تُدعى فالير ؟

فالير : أجل.

اسكاناريل : اتيت لأتحدّث اليك، إن لم يكن لديك من مانع.

فالير : يسرّني ان اؤدّي لك أية خدمة تلزمك.

اسكاناريل : لا، لا. ليس من خدمة أطلبها. بل انا الذي أودّ أن أبذل في سبيلك كل خدمة جليلة. لذا آمل ان تصطحبني الى منزلك.

فالير : الى منزلي أنا، يا سيدي ؟

اسكاناريل : نعم الى منزلك. وهل هذا يدهشك ؟

فالير : بالعكس هذا الامر يريحني ويفرحني ويشرّفني ...

اسكاناريل : ارجوك ان تدع قضية الشرف جانباً.

فالير : ألَا تريد ان تدخل ؟

اسكاناريل : لم يعد من داع لذلك.

فالير : أتوسّل إليك، يا سيدي، أن تدخل.

اسكاناريل : لن أخطو خطوة واحدة أبعد من هنا.

فالير : ما دمت واقفاً في هذا المكان، لا يسعني ان استمع اليك.
اسكاناريل : امّا انا فلا أنوي أن أتحرك قيد انملة.
فالير : هيا، هيا، لا بدّ من المسايرة. ليأتنا أحد بمقعد كي يجلس عليه سيدي، ما دام لا يريد أن يخطو خطوة أخرى اكثر مما فعل.
اسكاناريل : أفضّل أن أتكلّم وأنا واقف.
فالير : وهل هذا معقول ؟
اسكاناريل : انا مضطر الى التصرّف هكذا.
فالير : تصرّفك هذا غريب حقاً وغير مألوف.
اسكاناريل : مسألة فريدة لا مثيل لها أن لا تصغي الى من يقصد التحدث اليك.
فالير : لا مناص إذاً من مطاوعتك.
اسكاناريل : حسناً تفعل، إذ لا حاجة الى كل هذه الرسميات. أخيراً هل تريد ان تنصت إليّ ؟
فالير : بدون شك، وبكل طيبة خاطر.
اسكاناريل : قل لي بربّك، هل تعلم أني وصيّ على صبيّة متوسطة الجمال تسكن في هذا الحيّ، إسمها ايزابيل ؟
فالير : نعم.
اسكاناريل : إن كنت تدري، فلا لزوم الى ابلاغك إياه. لكن، هل تعرف ايضاً اني فضلاً عن وصايتي عليها، انا متعلق بشخصها، وانوي ان اقترن بها، مهما كلف الأمر ؟
فالير : كلّا.
اسكاناريل : هذا ما أصرّ على إطلاعك عليه. فأسألك ان تصرف أنظارك عنها، وتريح بالك من ناحيتها، وتكفّ عن التفكير بها وملاحقتها.
فالير : من ؟ أنا، يا سيدي ؟
اسكاناريل : اجل، أنت. دعك من كل مواربة ونكران.
فالير : ومن قال لك اني أميل اليها ؟
اسكاناريل : مَن هو أهل لكل ثقة في هذا الموضوع.

فالير : أرجوك بإلحاح، يا سيدي، أن تذكره لي فوراً.
اسكاناريل : هي بذاتها، يا مغفّل.
فالير : هي، هي ؟
اسكاناريل : نعم هي. وهل تستغرب ذلك ؟ إنها فتاة شريفة أبيّة تحبني منذ صباي، وهي التي أفضت إليّ بسرها هذا، وكلّفتني بأن أنبّهك الى انها لاحظت انك تحوم حولها وتُسمعها كلاماً تخجل من ترديده، وترشقها بسهام أنظارك الجريئة التي تضايقها وتخدّش الصداقة البريئة التي تحفظها لك في أعماق صدرها.
فالير : تقول انها هي التي أخبرتك بكل ذلك ؟
اسكاناريل : نعم، لذا انا آتي لأبلغك كم يجرح تصرفك الملحّ هذا، إحساسها المرهف، وكم ودّت أن تبلغك فكرها. غير أن حياءها حملها على تكليفي بهذه المهمة الدقيقة لتنبيهك، كما قلت لك، الى ان قلبها قد اخلص الودّ لي وحدي دون سائر الرجال. فلا حاجة لغمزها بعينك الرفيعة. وإن كان لديك أقلّ قدر من عزة النفس، ان تعجّل وتتخذ الاحتياطات الضرورية للاقلاع عن التطفّل عليها. الى اللقاء. هذا ما شئت ان أبلغك اياه.
فالير : ما قولك، يا اركاسْت، بهذه التدابير ؟
إسكاناريل (**على حدة**) : لقد أذهلته المباغتة المحرجة.
أَرْكاسْت : على ما ارى. وأنا أستنتج، أنها لا تضمر لك أي نفور، وأن هناك سرّاً خفيّاً، وإلّا لما كانت الفتاة تصرّ على صدّ كل محاولةِ تقرُّبٍ في هذا المجال، ولما لجأت الى مثل هذه الوسيلة.
إسكاناريل (**على حدة**) : هذا كلام معقول ومقبول.
فالير : هل حقاً تظن أن هناك بعض الغموض ؟
أَرْكاسْت : نعم ... أعتقد أن أحداً يراقبنا. فلنبتعد عن الأبصار.
إسكاناريل : فعلاً، دهشته ظاهرة للعيان. لأنه لم يكن ينتظر هذه الرسالة الواضحة. أرجوك ان تستدعي إيزابيل التي تعكس عيناها دوماً صورة تربيتها الأصيلة. فالفضيلة لا تخفى في سلوكها، وقلبها الصادق لا يتهرّب من الحقيقة الناصعة، حتى أنها لا تتردّد في إغاظة الرجل الذي تتمادى انظاره في غمرها بعواطفه المستهترة.

المشهد الثالث

ايزابيل، واسْكاناريل

إيزابيل : أخشى ان لا يكون هذا العاشق المتيّم قد فهم الرسالة التي قصدت إبلاغه اياها. فلن أتورّع، نظراً الى القيود التي تربطني بسواه، عن مواجهته بالجرأة اللازمة، لإيقافه عند حده في مغازلتي السافرة.

إسكاناريل : ها أنا قد عدتُ.

إيزابيل : وماذا يبغي هذا المتطفّل ؟

إسكاناريل : لقد أثّر كلامك الموجّه الى صاحبك، فبادر الى الانكار امامي بأن قلبه كان مغرماً بك. لكنني عندما اكّدت له رغبتك في إقصائه عن دربك، ظل صامتاً خجلاً. ولا أظنه بعد هذا الموقف الصريح يواصل مضايقتك.

إيزابيل : هل حقاً قد أربكه ما قلته له ؟ أخشى ان يكون العكس صحيحاً، فيعود الى حملته بإصرار أشدّ من السابق.

إسكاناريل : وعلى ماذا تبنين مخاوفك ؟

إيزابيل : ما كدت أنت تغادر منزلك لتتنشّق قليلاً من الهواء المنعش حتى لمحت من النافذة شاباً عند مفرق الطرق يظهر كأنه من قِبَل ذاك الثقيل الظل الجسور، يبادرني بالتحية ويلقي الى داخل غرفتي علبة تحوي رسالة منتفخة مختومة رددتها اليه حالاً. وما ان إجتاز الشارع الى آخره حتى خلْتُ الدنيا تنهال على رأسي وتسحق قلبي سحقاً.

إسكاناريل : ماذا تعني لك هذه الحيلة الوقحة ؟

إيزابيل : كان عليّ، ومن حقي، أن أردّ فوراً تلك العلبة والرسالة في داخلها، الى هذا العاشق اللعين المستهتر. وكان لا بدّ لي من رجل رزين يحملها اليه، لأني لا أجرؤ على القيام بذلك شخصياً ...

إسكاناريل : بالعكس، يا حلوتي، هذا الردّ يبرهن على عظم هيامك وتعلّقك بي، واني أشكر وأمتدح حسن تصرّفك الذي طمأنني وأفرحني للغاية.

إيزابيل : اذاً تفضّل.

إسكاناريل : حسن. لنرى ماذا أمكنه أن يكتب لكِ.

إيزابيل : لا، لا، حذارِ أن تفتحها.

إسكاناريل : لماذا ؟

إيزابيل : هل تريد أن توهمه بأني أنا التي فتحتها وتَلَوْثُ مضمونها ؟ ان الفتاة الشريفة العفيفة لا بدّ لها من ان تدافع عن عزة نفسها، وان لا تقرأ كتابات يرسلها اليها رجل غريب عن عواطفها. فحبّ الاستطلاع الذي يبرز في مثل هذا الحال، يدل على ان المرسل اليها قد تمتّعت بالاطلاع على ما أُريد ابلاغها من التصريحات المكتومة. وعندي ان إرجاع الرسالة مختومة سيثبت له أن أحداً لم يقرأها. وهذا يعبّر عن الاحتقار الذي يضمره له فؤادي. فيبرّد لظى هواه نحوي، ويحطّم امله في الوصول الى مرامه، فلن يجسر مرة اخرى على تكرار محاولاته السخيفة.

إسكاناريل : انت على حقّ في ما تعلنين. وفضيلتك التي تأسر كياني نظير حكمتك وتبصّرك، تبرهن لي على أن توصياتي قد تأصلت جذورها واثمرت في أعماق نفسك، فاقتنعتِ بأنك حقاً تستحقين ان تكوني اخيراً شريكة حياتي.

إيزابيل : مع اني لا اريد أن أُحرج موقفك. وما دامت الرسالة بين يديك تستطيع ان تفتحها إذا شئت وتطلّع على محتواها.

إسكاناريل : كلا، انا لا أحبّذ ذلك، مع أسفي على عدم تلاوتها. ورغم أن حجّتك مقنعة، أنا مستعد أن أردّ لك جميلك. فعلى مسافة أربع خطوات أودّ ان اقول لك كلمتين، ثم أعود الى هنا مرتاح البال، بعد أن أكون قد شرحت لك واقعي المفرح.

المشهد الرابع

إسكاناريل، واركاست

إسكاناريل : لست ادري في أي نعيم فؤادي يرتفع عندما تتربّع صبيّة رائعة مثلك بارتياح على عرشه، وأعتبرها كنز بيتي تغمره نبلاً وسعادة. وما افظع الجرم الذي يرتكبه المرء عندما يظن فورة الحب جناية. ويسيء الى الاخلاص من حيث لا يدري، فيرى فيه إهانة فظيعة ويشهّر به أمام المستهترين. فكم أودّ أن أعلم إن كان أخي يُقْدم على هذه الحماقة وهو لا يَفْقه أن البنت تَرْبَى على غرار من يرعاها.

أَرْكاسْت : ماذا تقول ؟

إسكاناريل : أجل، قل لسيدك ان لا يغامر ويكتب مرة اخرى رسائل ويبعث بها ضمن عِلَبٍ مذهّبة. لأن ذلك أغاظ إيزابيل كثيراً. وليعلم ان رسالته لا تزال مختومة لم يطّلع عليها أحد. وهذا خير شاهد على ان أشواقه في غير محلّها. فليفهمْ وليعتبرْ. فلذلك أَوْلى له من تحطيم قلبه بيده.

المشهد الخامس

فالير، وإركاست

فالير : ماذا أعطاك هذا الحيوان الناطق الشرس ؟

أَرْكاسْت : هذه الرسالة هي التي ارسلتها داخل علبة، يا سيدي. وقد زعم من سلمني اياها انها وصلت من قِبَلك الى ايزابيل. وقال لي انها ازعجتها واغضبتها، وبدون أن تفتحها وتقرأها ردّتها لك على الفور. فلا بدّ من ان تفتحها عاجلاً لترى إن كنت مخطئاً أو مصيباً.

نصّ الرسالة :

(ستدهشكِ هذه الأسطر بدون شك، لأنكِ ستلمسين فيها جسارة مني في كتابتها اليك ثم في طريقة ايصالها اليك. غير أنك ستعذرينني، لاني لم أعد أطيق صبراً على كتمان مشاعري نحوك. ان فكرة تهديدي بزفافك الى سواي بعد ستة ايام، لهو خطب في غاية الفظاعة يفوق كل المحن. ونظراً الى اصراري على تفادي هذه الكارثة بالنسبة اليّ، اعتقدت أن عليّ أن أتخطّى كل الاعتبارات كي أُصاب بالخيبة واليأس القاتل. لا تعتبري انك وحدك المسؤولة عن شقائي فيما اذا تحقق مصيري هذا المشوم بسبب إنهيار أحلامي وتبدّد أمانيّ بعدم تبلور إقتراني بك. لكن هذه الظروف التعيسة هي التي تولّد في أعماقي إلحاحي على تدارك بواعث شقائي. ولا أخفي عليك أن سعادتي رهن إشارة منك بقبولي زوجاً لك بالقريب العاجل. لذا أترقّب موافقتك بلا امهال على الاقتران بي وقبول حبي، وسيكون قرارك النهائي حكماً عليّ إما بالتعاسة والموت أو بالسعادة والحياة. والمهمّ ان لا تنسي أن الوقت مداهم وأن القلبين العاشقين يتفاهمان بنصف الكلمات.

أَرْكاسْت : ما رأيك اذاً، يا سيدي، في هذا الموضوع الخطير ؟ فالفتاة لا تجهل شعوري نحوها، وحيلتها في معارج الحب ليست بزهيدة. فهل كنتَ تصدّق انها تلجأ الى هذا الاسلوب البارع في الردّ المحكَم.

فالير : هذا دليل قاطع على براعتها. فإن ذهنها المنفتح ينمّ عن مقدار صدمتها وصداقتها، وهذا ما يزيدني تعلّقاً بشخصها الكريم وبحبها المثالي، لأنه يضيف سموّ عواطفها الى جمالها الفتّان الذي يهيمن على شفاف فؤادي.

أَرْكاسْت : ها هوذا المخدوع قد أقبل. ففكّر بما يتحتّم عليك أن تبلغه اياه.

المشهد السادس

اسكاناريل، وفالير، وإركاست

إسكاناريل : ليتبارك هذا القرار الذي يمنع ارتداء الملابس الفخمة. وهكذا تخفّ وطأة المصاريف الباهظة على الازواج الرقيقي الحال. وتتباطأ طلبات النساء وتقلّ في هذا المجال. وكم أنا ممنون من تدبير الملك الذي أصدر هذا المرسوم لإراحة الازواج من تكاليف الأناقة الباهظة نظير التطريز وأشغال الابرة الناعمة. لقد تمنّيت طويلاً وجود مثل هذه الاوامر كي تطلّع عليها إيزابيل وتتقيّد بها. ومن جرّاء ذلك تصبح حرّة بعد العشاء فتنصرف الى التسلية بدل الغوص في تهيئة زينتها لليوم التالي. وهكذا تهمل إعداد العلب المذهّبة وما تتضمنه من الرسائل الغراميّة المخجلة. لا تظن أن هذا الباب سيغلق تماماً في وجهها. فإنها ستجد. وقتاً لنصب شباكها وسماع قصص الحب والمغازلات. ولا يغربْ عن بالك بأي شوق وسرور تتلقى الصبايا وهج المجوهرات ورهج الهدايا الثمينة. صدّقني ان اكّدتُ لك أن لا شيء يبهجني بنوع خاص نظير المداعبات. فان ايزابيل رصينة وتحبّني طبعاً على صفاتي، وحتماً تزعجها ملاحقاتك اياها وتُنفّرها من سماجتك. فما عليك الّا ان تذهب وتبحث عن مُرادك في غير هذا المكان.

فالير : نعم، نعم. انت تعرف جيداً من اين تؤكل الكتف، يا سيدي. لذا اراك موفقاً على الدوام في مساعيك. بينما أنا أصادف كل المتاعب والعقبات في سبيل هواي المتعثّر. أنت تنجح في قطف ثمار حبّك اليانعة، وأنا اخفق باستمرار في مغامراتي الفاشلة غير المجدية. وهكذا لم أُجْنِ من هيامي بإيزابيل سوى الخيبة المرّة. وهذا لعمري ضرب من الجنون. فما بالي أثابر على هذا المنوال ؟

إسكاناريل : أجل هذا هو الواقع.

فالير : عليّ اذاً أن ألَمْلِم أذيال تعاستي، بعد أن اصطدمتُ بشخصٍ محظوظ

نظيرك، أرجع كيدي الى نحري وردّ لي الكيل كيلين واستأثر بسهولة بمن زاحمته عليها عبثاً في حومة الهوى.

إسكاناريل : هذه هي الحقيقة الناصعة التي لا تحتجب عن الانظار.

فالير : لم يبق لدي من أمل. وها أنا أتخلّى لك عن كل طموحي وأُخلي لك الساحة بدون أي احتجاج.

إسكاناريل : حسناً تفعل، يا مغفّل.

فالير : يؤلمني ان أسبّب لك بعض الاحراج، يا عزيزي. ولكن ما حيلتي إن أنت تطفّلت على حبيبتي وزاحمتني على احتلال قلبها الذي وقع في هواي زمناً طويلاً قبل أن تهاجمه وتطردني منه.

المشهد السابع

إسكاناريل، وايزابيل

إسكاناريل : لم يعترض عاشق يوماً دربي ونافسني على عروس أحلامي، لأنه لا يلبث ان يفقد موقع قاعدته ويُضطر الى الانسحاب، بعد ان يدفعني الى توطيد جذوري وإثبات تعلّقي بشخصك الحبيب كما رأيتِ، مع أنه أعلن مراراً غرامه وشوقه وتصميمه على اتخاذك زوجة. لكن يبدو أن حظي سعيد، فكان هواك من نصيبي. ورغم كل محاولاته للاستئثار بعواطفك فزتُ انا بفؤادك الغالي. فثقي بأنك لن تندمي على اختياري. ومهما تقلّبتِ الايام وتغيّرت الظروف سأكون عند حسن ظنك بي. ولن يؤول الى الندم تفضيلك حبي وتلبية نداء قلبينا المتشابكين المنسجمين، وقد أقرّ مزاحمي بعجزه عن اكتساب مودّتك، وأشاد بتفوّقي عليه في معركة هواكِ. لذا ترينني لا أُلومه ولا أندّد به لأنه في الحقيقة تفهّم الوضع أخيراً كرجل شهم عرف حدّه ووقف عنده.

إيزابيل (**بصوت خافت**) : انا لا أشكّ بصدق غرامه، وقد تبيّنت في عينيه براءة قصده ونواياه.

إسكاناريل : ماذا تقولين الآن ؟

إيزابيل : يعزّ علي أن تُرثي لحال رجل وان كنت لا اميل اليه. ولو توصلتَ الى سبر اغوار نفسي لأدركتَ كم آلمتني مثابرته على استدرار عطفي واستمالتي اليه.

إسكاناريل : وهل كان على يقين من حقيقة ميلك اليّ، وظلّ مواظباً على حبّك بطريقته العقيمة التي تستحقّ الازدراء ؟

إيزابيل : ألَا قُلْ لي : هل من المزايا المشكورة أن يفكّر المرء بخطف الاشخاص ؟ وهل من النبل أن يصمّم الرجل بعناد على الاقتران بفتاة قسراً رغم إرادتها ؟ وهل كنت انا رضيت بالحياة معه مكرهة بعد حصوله عليّ بهذه الطريقة الخسيسة ؟

إسكاناريل : ماذا تقصدين بهذه الاسئلة ؟

إيزابيل : لقد بلغني ان هذا العاشق الجاهل كان ينوي اختطافي وارغامي على الاقتران به، بدون ان أطلع طبعاً على خطّته السرية للوصول الى مأربه. فقد علم بأنك صمّمت على اتخاذي زوجة قبل مرور اسبوع من محاولته. لذا اراد الاستعجال ليسبقكك الى تحقيق حلمه واجباري على قبوله كشريك حياتي.

إسكاناريل : لكن عزمه لم يُفِدْهُ في هذا المجال.

إيزابيل : اسمح لي بأن أذكّرك بأنه مغ ذلك رجل لطيف لا ينوي ان يسبّب لي أي أذى.

إسكاناريل : إلّا أنه في مشروعه هذا لم يكن محقّاً، لا بل هو في نظري يستوجب الهزء والملامة.

إيزابيل : ان تمسكّك بي يثير جنونه. ولو كلّمته انت احياناً بجفاء لخشي غضبك وسخطك. لانه منذ ارساله تحريره البغيض اليّ ازعجني تعلّقه هكذا بي، وهو يظن أني أميل اليه، وربما أفضّله عليك. وهذا ما جعلني أؤجّل زفافي

إليك مهما حكم الناس على تصرفي زوراً، ريثما أحزم امري واتبيّن صحة اختياري وأقتنع بتفضيلي إياك.

إسكاناريل : حتماً هو مهووس.

إيزابيل : امامك يعرف الخبيث كيف يخفي دناءة مراوغته. لكن اياك ان تنخدع بتمليقه. لا بدّ لي من الاعتراف بأني تعيسة مسكينة واني رغم كل جهودي لأظلّ شهمة، حاولت أن أبعد عني أحابيله كعاشق جبان مستبدّ قد يدفعه غرامه الى ارتكاب احقر الحماقات.

إسكاناريل : لا تخشَيْ اذاه.

إيزابيل : بالنسبة اليّ، اذا لم تقم أنت بعمل جريء لتنقذ موقفي وتخلّصني من هوس هذا السمج، سأهجر العالم الذي يعذبني وانفض عني غبار الاستكانة والضجر، وأزيل من دربي عار الاستهتار الذي يجابهني به.

إسكاناريل : لا تتذمّري هكذا، يا حبيبتي الفاتنة، فأنا مستعد لمواجهته وتبديل الحال الذي تشكين منه.

إيزابيل : قلْ له اني على يقين بأنه سينكر ما يُنْسَب اليه من تشبّثه بي ومن محاولته اختطافي، وانه مهما كرر محاولاته، انا مستعدة لتحدّيه وتفشيل خططه. فعليه اذاً ان يثوب الى رشده ويقتنع بأني لست من نصيبه، لان مصيري قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بمصيرك في حظيرة الحب والزواج. ومتى ادرك انه يسبّب لي الشقاء بعناده وإصراره العقيم سيعلم ايضاً اني لست مستعدةً لأن أُلْدَغ من الحجر مرّتين.

إسكاناريل : سأقول له ما يلزم، فاطمأنّي.

إيزابيل : لكن بلهجة حازمة تُفهمه أني حقّاً قد خاطبه بكل صراحة وأمانة.

إسكاناريل : أؤكّد لك اني سأقوم بمهمتي خير قيام.

إيزابيل : سأنتظر رجوعك بفارغ الصبر. فعجّل بربّك إن شئت بكل ما أوتيت من قوة. لأني اكاد اذوب شوقاً الى رؤيتك كلما ابتعدت عن ناظري ولو لحظة.

إسكاناريل : سأعود اليك، يا حياتي، على جناح السرعة. هل تظنّين ان هناك حبيباً أصدق وأفضل مني تعيده لهفته اليك لينعم بقربك في جنّة هواك ؟ ما

أسعدني بجوارك، وما ألذّ مشاهدتك الى جانبي. لانك المرأة الوحيدة التي اصطفيتها وملكتها على عرش فؤادي المتيّم بحبك. فهكذا تكون الزوجات المخلصات، أو يُحرّم علي الاقتران بسواك. لأني أكره النساء المائعات المستهترات اللواتي يجعلن رجالهني الشرفاء مضغةً في افواه كل باريس. فيا خيبة امل من يذهبون ضحية سلوك زوجاتهم اللعوبات المتهتكات.

المشهد الثامن

فالير، وإسْكاناريل، وإركاست

فالير : ماذا أتى بك الى هنا، يا سيدي ؟

إسكاناريل : حماقاتك.

فالير : ماذا تقول ؟

إسكاناريل : انت تعلم عن اي موضوع أكلّمك. كنت أعتقد أنك أعقل ممّا برهنت عليه. فقد خدعتني بأحاديثك الطليّة وبعثت الشك في نفسي بآمالك ونواياك المهووسة. لا بد من أن تكون لاحظت اني تعمّدت حسن معاملتك. لكنك في نهاية المطاف تضطرني الى الاستشاطة غضباً. أوَلا تستحي ممّا تُقْدِم عليه من استنباط المشاريع المحجلة، ومحاولة خطف فتاة شريفة، وعرقلة زواجنا الذي سيدخلني واياها جنّة السعادة والهناء ؟

فالير : من قصّ عليك هذه الخرافة المضحكة التي تتهمني بها ؟

إسكاناريل : لا تحاول الانكار، فان ايزابيل نفسها قد اطلعتني على جميع تفاصيلها. وأنا أحذّرك أوّلاً وآخراً من هذه المهزلة التي تزعجني كثيراً. إعلمْ أنها اختارتني كفارس أحلامها نهائياً، ووهبتني قلبها وقالبها، وهي تفضّل الموت على استبدالي برجل سواي، ولا سيما إن كنت هذا البديل الوقح الذي لم يفهم حتى الآن انه غير مرغوب لديها بتاتاً. واذا لم تضع حدّاً لمضايقاتك

التي لا تكفّ عن تكرارها حيالها، سأعرف انا كيف أغيّر لك رأيك بأجدى الطرق وأسرع الوسائل. فتعقّلْ إذاً وتبصّرْ وارْعَوِ عن غيك.

فالير : صحيح ما قلته لك في هذا الموضوع، كما سمعته الآن على لسانك، وها أنا أقرّ بأن رجائي في استمالتها أضحى ضئيلاً جداً، وأعدك بأن لا أعود الى هذا المسعى مطلقاً بعد الآن. لأني أودّ أن احترم وأساير مشيئتها حسب ما أبدته هي لي.

إسكاناريل : ألا تثق بكلامي ؟ هل تشكّ بما نقلته اليك من رغبتها الأكيدة التي صرّحت هي لي بها مراراً ؟ وهل تريد ان تثبت لك وجاهيّاً ما تشكوه من تطفّلاتك وملاحقاتك الصبيانية لنيل رضاها. انا لا مانع عندي ابداً من ان تبرهن لك هي بنفسها عن اختيارها النهائي بملء رضاها أن تُزفّ اليّ. فاتبعني، وستلمس لمس اليد صحة ما ابلغتك اياه من موقفها الصريح الذي تصرّ هي عليه ولا تريد أن تتراجع عنه قيد شعرة. لأن قلبها كما أكرر عليك للمرة المئة، ولا ولن يتأرجح بيني وبين أي رجل سواي، وانها ستصبح حتماً شريكة حياتي ورفيقة عمري.

المشهد التاسع

ايزابيل، واسكاناريل، وفالير

إيزابيل : ماذا تقول ؟ أنت تأتي به اليّ. وما هي غايتك من ذلك ؟ هل تنوي ان تخدم مصالحه أمامي ؟ هل حقاً تودّ امتحان أمانتي، وتسمح لنفسك بأن تضطرني الى مقابلته ومسايرته وتحمّل سماجة زياراته اثناء حضورك ؟

إسكاناريل : يا حبيبتي، أنت تعرفين مقدار تعلقي بشخصك الغالي على قلبي. لكنه الى الآن، لا يصدّق هذا المراوغ المحتال، ما كلّفتني انت بقوله له عن قرار زواجنا نحن الاثنين قريباً جداً. لا تنسَيْ اني انا بذاتي أبيّن له مبلغ الكره

الذي تضمرينه له، وكم أنت مقتنعة وواثقة بحبّي وعطفي، وعلى لسانك اجتهدت ان أُفهمه جسامة غلطه في التشبّث بما يحفظه لك عبثاً من هواه الذي تنفرين انت منه صراحة، فقصدتِ ان تكرريه له بنفسك كي لا يبقى لديه ذرّة من الشك.

إيزابيل : ماذا تقول ؟ ألّا يزال لديك من شكّ في ما اكّدته له مراراً وتكراراً ؟

فالير : أجل، إن كل ما ردّده لي هذا الرجل الدجال، على لسانك، يا سيدتي، قد فاجأني فعلاً. وانا لا ازال اشكّ فعلاً بقرارك النهائي الذي يحكم على حبّي بالإعدام، ولا أريد أن أصدّقه، وأنا أصرّ على سماع هذا الحكم المشؤوم من فمك.

إيزابيل : لا، لا. لا سبيل لهذا الحكم ان يباغتك، ما دمت لم اترك لك مجالاً لتأمَلَ بتحقيق امنيتك، ونيل رضاي واستدرار حبّي استجابةً لهواك. فإن موقفي كان دوماً واضحاً نحوك، ولم ادع يوماً لك ذرّة من الرجاء في امكان تلبيتي انا نداء عواطفك. أجل، أريد ان تعرف جيداً اني لست من نصيبك، وان قلبي اختار أليفه وارتضى حبيبه بشخص عاشق سواك عرف كيف يوقظ اشواقي ولهفتي. بينما أنت لم تظفر مني الّا بالحذر والنفور. فأنا أتوق الى اليوم القريب الذي أربط فيه مصيري بوثاق الزواج المبارك بمن عشقتْه نفسي، وأبتعد عن درب هواك الى الابد. وإلّا تمنيت ان افقد حياتي اذا لم يتسنَّ لي تحقيق امنيتي في الاقتران بمن احب. هذا واقع مفرح اصبو الى انجازه كأعز احلامي. اكرّر لك اني افضل الموت الف مرة على ان أزجّ بنفسي في جحيم الارتباط بمن لا أميل اليه.

إسكاناريل : انا مستعد لأن احقق لك حتماً حلمك هذا الغالي على قلبي انا ايضاً.

إيزابيل : هذا هو الامل المنشود الذي يبهجني ويؤمّن لي سعادتي.

إسكاناريل : سيكون لك قريباً ما تتوقين الى التمتع به.

إيزابيل : انا أدري بأن التصريح بحريةٍ بما بحت به تحمّر له خدود العذارى.

إسكاناريل : لا داعي للخجل بتاتاً.

إيزابيل : لكن في الحال الذي وصلنا اليه، لا بدّ للحرية من أن تسود بين كل

فتاة ومن اختارته كعريس أحلامها، ومن الارتباط به بوثاق الزواج المقدس بدون امهال.

إسكاناريل : اجل هذا هو عين الصواب، يا مهجة فؤادي.

إيزابيل : ما عليك اذاً الا ان تبرهن لي عن حرارة حبك وصدق نواياك.

إسكاناريل : انا على أتمّ الاستعداد لبذل كل غالٍ ونفيس في سبيل اسعادك.

إيزابيل : هيا اذاً حقّق لنا احلامنا، ولا تشمّت بنا أعداءنا.

إسكاناريل : لن يطول انتظارك ذاك اليوم الميمون الذي سننال كلانا معاً فيه غاية المنى، وستدخلين الجنّة بصحبتي من بابها العريض.

فالير : نعم، يا سيدتي، الآن تبيّنين لي ما حاولت مراراً عديدة أن أُمتع به ذاتي. وبما أن حضوري يزعجك، فأنا أعدك بأن لا ترَيْ مطلقاً صورة وجهي فيما بعد.

إيزابيل : وهذا من أغلى أمنياتي. ما دمت لا ارتاح لمرآك. وارجو منك أن تنقذني من كابوس مثولك امام عيوني.

إسكاناريل : هيا، هيا اذاً.

إيزابيل : هل أهنته بمخاطبتي اياه بهذه اللهجة الخشنة ؟

إسكاناريل : ابداً، أنا لا أقصد ذلك. لكني بدون مبالغة، أصرّح لكِ بكل أمانة وتأكيد أني أُثير حقده الى اقصى مداه.

إيزابيل : في الحقيقة لا استطيع ان اكون صادقة اكثر ممّا فعلت.

فالير : أجل، ستكونين في غاية السرور والارتياح خلال الايام الثلاثة القادمة، ولن يقع نظرك بعد اليوم عليّ بسبب ما تكنّين لي من الكراهية.

إيزابيل : حسناً تفعل. فالوداع الذي ما بعده لقاء.

إسكاناريل : انا ارثي لحاله التعيس. ولكن ...

فالير : انت لا تريدين ان تسمعي تنهيدات قلبي، يا سيدتي، وانا لا ألومك على شعورك، ولا اتذمّر من مزاحمي، لا بل منذ الآن فصاعداً سأساعد على تحقيق حلمكما. الوداع.

إسكاناريل : مسكين انت، ايها الفتى المعذّب القليل الحظ. هيا عانقني، يا اخي، للمرة الأخيرة، وودعني الوداع الذي لن يكون له بيننا لقاء بعده.

المشهد العاشر

ايزابيل، واسكاناريل

إسكاناريل : انا ارثي لحاله حقاً.

إيزابيل : هو لا يستحقّ هذا الندب، يا عزيزي.

إسكاناريل : في الحقيقة، ان اخلاصك لحبّي يبهج فؤادي، يا عزيزي، وأودّ ان أجزيك عنه خيراً. وأرى ان ثمانية ايام تشكّل بالنسبة اليك انتظاراً طويلاً. ولكي اسعدك بأعجل مدى قررت أن أقيم حفلة زفافنا حتماً يوم غد.

إيزابيل : يوم غد حقاً ؟

إسكاناريل : انت تستغربين هذه العجلة من قبيل الحياء، وانا واثق بأنك ستفرحين للغاية بتقريب هذا الموعد، وترغبين في احلاله فوراً اثناء هذه اللحظة بالذات.

إيزابيل : ولكن ...

إسكاناريل : هيا بنا اذاً ننجز جميع تجهيزاتنا واستعداداتنا.

إيزابيل : يا إلهي، الهمني كل ما يحقّق رغبات عريسي وأمانيه السارة.

الفصل الثالث

المشهد الأول

ايزابيل

إيزابيل : يخيّل اليّ أحياناً ان الموت أهون ألْف مرة من خشية هذا الزفاف المرتقب الذي يسوقني اليه محيطي. وان كل ما فعلته للهرب ممّا اخاف وقوعه يرضي لائمي. فالوقت يداهمني، وقد اقبل الليل بظلامه. فما عليّ الّا ان أمضي بدون وجل وأنجز ارتباطي بحبيبي.

المشهد الثاني

اسكاناريل، وايزابيل.

إسكاناريل : انا عائد، وغداً تتحقق رغبتي ...

إيزابيل : يا الهي.

إسكاناريل : أهذه انت، يا حبيبتي ؟ الى أين أنت ذاهبة في هذه الساعة المتأخرة ؟ تقولين أنك أحسست ببعض التعب فمضيت الى غرفتك لترتاحي. وانسحبت انا، بعد ان التمست أنتِ مني ان أرجع باكراً في اليوم التالي.

إيزابيل : هذا صحيح. ولكن ...
إسكاناريل : ماذا جدّ إذاً ؟
إيزابيل : أنا محتارة، ولا أدري كيف أظهر لك عذري وحجّتي.
إسكاناريل : ما الامر ؟ ماذا جرى في هذه الاثناء ؟
إيزابيل : هناك سرّ مباغت. فقد اضطرتني اختي الى الخروج في هذه الساعة، وطلبت مني أن أغادر غرفتي حالاً لتأوي هي اليها.
إسكاناريل : ولماذا ؟
إيزابيل : امر لا يُصدَّق. هي تقول انها تحبّ العاشق الذي نبذته أنا.
إسكاناريل : هل تعني فالير ؟
إيزابيل : نعم، هي تهواه الى حدّ الجنون. ولكيّ تقدّر مبلغ هيامها، تصوّرْ انها أتت وحدها الى هنا في هذه الساعة المتأخرة لتكشف لي عن هموم غرامها، وتعلن لي انها ستموت غمّاً اذا لم تحقق حلم حبّها الذي تغذّيه منذ أكثر من عام، ما دامت تبادل عشيقها هذا سرّاً عواطفه وتلبّي نداء قلبه قلبها، وبات الآن من أوجب الواجبات عليهما أن يعجّلا في الارتباط بوثاق الزواج لإنقاذ موقفهما الحرج قبل افتضاح امرهما ...
إسكاناريل : من تعنين ؟ فالير ؟
إيزابيل : كم أنا مستاءة من نفسي، لاني دفعت من أغواها الى أحضانها. وها هي الآن تلتمس مني ان اساعدها على تدارك استهتارها وستْر فضيحتها. لأنها لم تتمكن من إمهال ما تورّطا كلاهما في التسرّع بممارسته في خلواتهما الغرامية. وها هي الآن تطفئ باسمي أنا لواعج صاحبنا العاشق الولهان. وأنا غير قادرة على عرقلة ما قد باشراه من علاقات خفيّة، لأنه سيوافيها متستّراً من ناحية الشارع الخلفي الذي يؤدّي الى حجرتي. وانا ما كدت أفصله عن حياتي، حتى بادرا كلاهما الى توريطي وزجّ اسمي في هذه العلاقة المشينة، وجعل الناس ظاهراً يظنون بي أسوأ الظنون، نظراً الى ما كان يتباهى به من تودّده علناً اليّ لاستمالتي ونيل رضاي، والقبول به زوجاً معزّزاً.
إسكاناريل : هل تعتقدين أن الأمر سيبلغ الحائط المسدود ؟
إيزابيل : انا اكاد انفجر غيظاً. ما أغبى اختي ؟ تبّاً لها من قليلة الذوق والتوقّع.

ألا تستحي من سفالة تصرّفها والوله الذي تظهره لهذا النوع من العشاق الذين يتبدّل حبّهم كل يوم. أنَسِيَتْ كرامتها، وداست مروءتها امام وقاحة رجل لم تربط السماء مصيرها بمصيره في حظيرة الزواج المبارك.

إسكاناريل : هو يستحقّ هذا التنديد والاستهزاء، وأنا سعيد بتورّطها هي.

إيزابيل : اخيراً. كان الاجدر بها ان تستخدم خيبة أملي كحجّة دافعة لكي تعنّفه على سفالاته التي لا تُحصى، وترفض له طلباته، ولا سيما هذه الليلة بالذات. لكنها لم تمانع أيّاً من اشواقه الملحّة، فسكبت هذا المقدار من الدموع السخينة وتنهّدت وتأوّهت وندبت حظها العاثر، ولامت بيأسٍ ما يثيره فيها من اللوعة قنوط نفسها الحزينة. وأنا من شدّة تأثري أشفق عليها من كل قلبي. ولكي تبرّر السخافة التي ارتكبتها هذه الليلة، وقد هيّجت أشجاني واستدرَّتْ عطفي، كدت ان أجيء « بلوكريس » وأعدها تنام هنا، لأنك طالما اثنيت خطأ على فضائلها. إلّا نك باغتّني بعودتك هذه السريعة عن رأيك السديد.

إسكاناريل : انا في غنى عن كل هذه الاسرار التي ربما قَبِلها اخي بحقّ. لكني أخشى ان يراني احد من الخارج، وكذلك التي أريد أن أكرّس لها عمري، لانها خجولة، وأصيلة، وبعيدة عن كل الشبهات، هيّا بنا نطرد هذه الخدّاعة ونطهّر المكان من أشواقها الرجسة ...

إيزابيل : اراك تَصِمُها بالكثير من الرذائل. واذا اشتكت وتذمّرت فبحقّ تفعل. أمّا أنا، إن كظمتُ غيظي وتريّثت في حكمي، فلأن الواجب يقضي عليّ بذلك لأنها أختي. فصبراً عليّ حتى أخرجها من غرفتي وأرتبّ وضعي.

إسكاناريل : هيا اذاً الى العمل.

إيزابيل : غير أني ارجوك ان تتوارى عن العيان، وأن تنظر اليها باشفاق وهي تغادر المكان.

إسكاناريل : ان امتنعتُ أنا عن لومها فإكراماً لك. ولكن حالما تخرج، سأبادر الى مقابلة اخي، وإطلاعه على كل ما اقترفته من ذنوب بمشاركته.

إيزابيل : ارجوك أيضاً ان لا تأتي على ذكري أمامه. ليلتك سعيدة. أنا ماضية لأخلو بنفسي في هذه الأثناء.

إسكاناريل : الى الغد، يا حياتي، وبفارغ الصبر سألقاك باكراً. لن أخفي أمراً عن اخي المسكين الذي أغمض عينيه إله النوم « فيبوس » الغاشم، لأني اخلص له الودّ واكره له المذلّة والإهانة.

إيزابيل (**داخل البيت**) : انا أقدّر مدى حساسيّتك واستيائك. غير أن ما ترغب فيه شقيقتي لهو من رابع المستحيلات، وبمقدار ما أعتبر شرفي غالياً عليّ، لا يسعني أن أغامر به. فالوداع. هيا انسحبْ قبل فوات الأوان.

إسكاناريل : ها اني اسمعها تسبّ وتلعن بلسان سليط. وخشية ان تعود الى هنا، هيّا نوصد الباب في وجهها.

إيزابيل : يا الهي، لا تتخلَّ عني في هذه الشدّة.

إسكاناريل : اين تستطيع أن تذهب ؟ تعالَيْ نتبع خطاها.

إيزابيل : اثناء اضطراب خواطري، أجد الليل حليماً يقلّل مخاوفي تحت جنح الظلام.

إسكاناريل : هيّا الى منزل عاشقها نفاجئهما في مغامرتهما الدنيئة.

المشهد الثالث

فالير، وإسكاناريل، وايزابيل

فالير : نعم، نعم، انا مصمّم على بذل بعض الجهود هذه الليلة. من هو القادم الى هنا، يا ترى ؟

إيزابيل : لا تأتِ بحركة، ولا تحدثْ اية ضجة. فأنا ايزابيل، يا فالير. وأحذّرك من المبادرة الى ارتكاب اية حماقة جديدة.

إسكاناريل : لقد كذبتِ عليّ، يا خبيثة، فقد تبيّن لي ان زميلتي هي شقيقتك. والشرف الذي تدّعينه، تتقيّد هي به بكل حذافيره. وأنت تقلّدين صوتها وتنتحلين إسمها.

فالير : نعم، هذه هي الحقيقة الوحيدة التي لا أتمناها كمصير لي. وأنا أعاهدك بأن أذهب منذ الغد الى حيث ارتبط بك بوثاق الزفاف المبارك.
إسكاناريل : تبّاً لك من احمق تكذّب الواقع وتصدّق نفاقك المفضوح.
فالير : ادخل بأمان. فأنا أجابه « أركوس » اليقظ الشجاع بكل عزم وعنفوان. وقبل ان يتمكّن من تجنُّب حماستي، سأسحق قلبه سحقاً.
إسكاناريل : أعدك وعداً صادقاً بأن لا أنوي انتزاع هذا الخسيس من امام غضبك. لان غيرتي لن تفوق إيمانك، ولن احول دون صيرورتك زوجها الشرعي. تعالَ نباغتهْ ونواجههْ بهذه المتهتّكة. لأن ذكرى والدها الشهم جديرة بالاحترام نظير الاهتمام الذي أبديه بشقيقتها، وهذا أقلّ واجب لإحاطتها بالصَوْن الذي تستحقّه. هيا اذاً.

المشهد الرابع

اسكاناريل، والمفوّض، والكاتب العدل، ومرافقه

المفوّض : ما الخبر ؟
إسكاناريل : أحيّيك، يا سيدي المفوّض. ان حضورك وانت في لباسك الرسمي ضروري فيما بيننا. إتبعني من فضلك واسعفني بإيضاحاتك.
المفوّض : كنت خارجاً ...
إسكاناريل : المسألة تقتضي العجلة.
المفوّض : ماذا تقول ؟
إسكاناريل : لنتقدّم الى الداخل ونفاجئ معاً شخصين لا بدّ من ان يجمعهما رباط الزواج. فالفتاة التي تنتسب الينا أغواها واستغلّها رجل يُدعى فالير، وقد إختطفها واقتادها الى بيته منتزعاً اياها منْ وسط نبيل واسرةٍ فضيلة عريقة. لكن ...

المفوّض : اذا كان الامر كما تقول، فالمناسبة مؤاتية بما أن فيما بيننا كاتباً عدلاً.

إسكاناريل : سيدي.

الكاتب العدل : اجل فيما بيننا كاتب عدل رسمي.

المفوّض : وهو أيضاً رجل مشهود له بالمروءة والامانة.

إسكاناريل : هذا لا شك فيه. ادخلوا من هذا الباب بدون ضجة، ولا تَدَعو أحداً يخرج من هنا، وستكافأ اتعابكم بكرم وسخاء، شرط ان لا تقبلوا رشوة من أي انسان.

المفوّض : ماذا تعني ؟ هل تظن ان رجال العدالة ...

إسكاناريل : انا لا أتهمكم، يا سادة. سأستدعي اخي على وجه السرعة. ها أنا ذاهب اليه، وهو إنسان بعيد عن الغضب والصخب.

المشهد الخامس

اريست، واسكاناريل

أريسْت : من يطرق الباب ؟ أهذا أنت، يا أخي، ماذا تريد ؟

إسكاناريل : تعالَ، ايها المفكّر الألْمعيّ. والفتى الرجعي الذهن. هيا سأريك ما يدهشك ويثير إعجابك.

أريسْت : ماذا تقصد ؟

إسكاناريل : اني آتيك بنبأ يسرّك جداً.

أريسْت : ما هو ؟

إسكاناريل : أرجوك أن تخبرني أوّلاً اين ليونور التي تعزّها وتكرمها ؟

أريسْت : لماذا هذا السؤال ؟ هي على ما أعتقد تُمضي سهرة حافلة عند إحدى صديقاتها.

إسكاناريل : نعم، نعم ؟ هيا اتبعني لترى في أية سهرة ستجد هذه الحسناء اللعوب.

أريسْت : لماذا تقصّ علي هذه الحكاية الغريبة ؟

إسكاناريل : وقد نمقّتها بأسلوب مشوّق : « لا يجمل بالانسان ان يعيش كمراقب صارم، إذ يمكنه أن يكتسب القلوب عن طريق اللين. أمّا وسائل الحذر والتضييق والحجز فلا تستطيع ان توطّد فضائل النساء والفتيات، بل تدفعهنّ الى سبل الشرّ بالقسوة والإكراه، بينما جنسهنّ اللطيف يتطلّب بعض الحرية والتسامح. في الحقيقة اخذت هذه المحتالة نصيبها من الانشراح، وتطوّرت فضيلتها باتّجاه المسايرة وروح الانسانية والتساهل.

أريسْت : الى اين سيصل بنا هذا النمط من الاحاديث المحرجة ؟

إسكاناريل : هيا بنا، يا اخي البكْر، فهذا الموقف يناسبك كثيراً. وأنا مهما كلّف الأمر، لا أودّ ان احرمك ثمار هذه الحِكَم المهووسة. فهذه هي النتيجة التي أدّى اليها مفعول دروسك المشؤومة حيال الشقيقتين. فالواحدة تهرب من هذا العاشق المتيّم، والاخرى تلاحقه وتسعى للالتصاق به مغرورة بوعوده الخلّابة.

أريسْت : اذا لم تفسر لي هذه الاحجية الغامضة ...

إسكاناريل : الاحجية مفادها ان الحفلة الساهرة أُقيمتْ عند السيد فالير حيث شاهدته يسرع الخطى، وهي الآن ترتع بين ذراعيه.

أريسْت : من تقصد ؟

إسكاناريل : ليونور، طبعاً.

أريسْت : أرجوك ان تكف عن المزاح.

إسكاناريل : المزاح ؟ هذا المزاح حقيقة اكيدة بالنسبة الواقع. ايها المغفّل المسكين أقول لك واكرر القول ان فالير يحتضن عزيزتك ليونور وقد مال اليها بعد أن حاول كثيراً استمالة ايزابيل عبثاً.

أريسْت : هذا الكلام الذي يبدو ارتجاليّاً ...

إسكاناريل : لن يصدّقه احد، وإن شاهده بأم العين. فلقد اغاظني، مع أن فحواه بعيد الاحتمال والوقوع.

أريسْت : ماذا تعني، يا اخي ؟

إسكاناريل : يا الهي. انا لا اختلق رواية. إتبعني فقط لترى، وستبصر ما يقنعك، وتلمس اني لا اتخيّل اية رواية وهمية، بل أؤكد لك ان قلبيهما غارقان في بحر الهوى منذ اكثر من عام.

أريسْت : الظواهر تخدع أحياناً. وأنا استبعد مثل هذه العلاقة غير المعقولة. لأني منذ حداثتي لم اكن يوماً ديّاناً صارماً، لا سيما فيما يخصّها هي شخصيّاً، بل كنت قد أعلنتُ اني لن أبدي أي احتجاج أو تذمّر في موضوع ما تميل اليه.

إسكاناريل : أخيراً، سترى وتحكم على سير القضية التي اتيت لأجلها بالمفوض والكاتب العدل، لأننا كلانا يهمّنا ان يتمّ هذا الزواج الضروري ليصبح على الفور وضعهما قانونياً وشرعياً بغية ستْر شرفها المدنّس. اذ اني لا أعتقد ان تكون جباناً الى درجة ان تتهاون في هذا الإجّراء الدقيق، ولا توافق على الاقتران بها رغم هذه الوصمة المشينة، متجاوزاً هذا العار بدون أن تحكّم عقلك وإباءك.

أريسْت : طبعاً لن أتدنّى الى هذه الخساسة التي تدلّ على الضعف والخساسة، حين أمتلك أنا قلبها بالغصْب والإكراه. لكني لا استطيع ايضاً ان أصدّق أخيراً أنّ ...

إسكاناريل : هذا كلام فارغ، ولا بدّ من أن نضع حداً نهائياً لهذه الحكاية البذيئة.

المشهد السادس

المفوض، والكاتب العدل، واسكاناريل، وأريست

المفوّض : هنا يجمل بكم ان لا تستخدموا كل إمكاناتكم، يا سادة. واذا كانت تمنياتكم كلها محصورة بالزواج، ستجدون في هذا المكان منهلاً عذباً يروي غليلكم. فكلاهما يهدفان الى الزفاف، وقد أعرب فالير عن رغبته في

الاحتفاظ بالمرأة التي يحتجزها، وجعلها زوجة شرعية له.
أريسْت : هذه الفتاة ...
المفوّض : هي في عهدته ولا يسعها ان تخرج عن طاعته. فالأمل ان توافق على ما يناسبهما كلاهما ولا غنى لهما عنه مطلقاً.

المشهد السابع

المفوض، وفالير، والكاتب العدل، واسكاناريل، واريست

فالير (**يطل من النافذة**) : كلّا، يا سادة، لن يدخل احد الى هنا. فلا تحاولوا فرض ارادتكم. انتم تعرفون من أنا، وعليّ أن أقوم بواجبي، وان اطلب توقيعكم على ما يعرض عليكم من حلّ. وليس امامكم الّا ان تباركوا هذا الزواج. واذا لم تكونوا من هذا الرأي، لا بدّ لكم من ان تقضوا على حياتي اذا صمّمتم على حرماني من حبيبتي.
إسكاناريل : كلا، نحن لا ننوي ان نفصلك عنها. ولأن العريس لم يتخلَّ بعد عن ايزابيل، فلْنستفدْ من غلطته.
أريسْت : لكن، هل العروس هي ليونور ؟
إسكاناريل : أصمتْ، ايها الغبي.
أريسْت : هيّا أخبرني.
إسكاناريل : إهدأ ولا تشاكسْ.
أريسْت : أودّ ان أعلم ...
إسكاناريل : ما بك ؟ أرجوك أن تسكت.
فالير : ختاماً، مهما حدث، لقد وعدت ايزابيل، وهي قد قطعت لي عهداً. ولم يعد هناك من مجال للاختيار ولتمحيص الأمور ودرسها. اذ ليس باليد من حيلة لتغيير الواقع الأكيد.

أريسْت : ان ما يعلنه هذا الرجل ليس ...

إسكاناريل : أصمتْ بربّك ولا تزد كلمة واحدة مما تعرفه. فالمفروض ان يبقى في سرّك، بدون ان تواصل حديثك. فكلانا نوافق على ان تصبح زوج التي توجد الآن في بيتك.

المفوّض : اجل، هكذا يجب ان تنتهي هذه المشكلة. وسيظل مكان اسم العروس خالياً، لأني لم ابصرها قط. فوقّع، والفتاة بعدئذٍ ترتّب امورها كما تشاء.

فالير : انا موافق على ذلك.

إسكاناريل : وانا ايضاً غير مخالف. وسنفرح هكذا كلنا. فوقّعْ اذاً انت كذلك، يا اخي، لكي تسير المسائل في مجراها الطبيعي.

أريسْت : لكن، لماذا كل هذا التكتّم والالتباس ؟

إسكاناريل : هيّا وقّع، ايها المعرقل الغبيّ.

أريسْت : انت تتكلم عن ايزابيل، وهو يقصد ليونور.

إسكاناريل : أوَلَا توافق، يا أخي، على ان تكون هي العروس ؟ وان تدعهما يتدبّران كلاهما أمورهما معاً ؟

أريسْت : بدون شك.

إسكاناريل : وقّع اذاً، وها أنا أسبقك الى التوقيع.

أريسْت : سأسايرك، وإن كنتُ حتى الآن لم أفهم بعد ما يجري تماماً.

إسكاناريل : ستتّضح لك الامور حتماً.

المفوّض : وسوف نعود الى الموضوع.

إسكاناريل : هكذا أؤكّد لك ان المؤامرة توشك فصولها ان تكتمل.

المشهد الثامن

ليونور، وليزات، واسكاناريل، واريست

ليونور : مسكين هذا الشهيد. كم يبدو لي الشبان المهووسون مزعجين.

ليزات : كل منهم يودّ ان يرضيك وينال إعجابك ولا يعرف كيف.

ليونور : وانا لم أشاهد ما هو أسمج مما جرى. كم وددت ان تتبسّط المناقشة التي دارت حول هذه المعضلة السخيفة. يظن البعض بسبب غرورهم ان الرياح تجري دوماً كما تشتهي السفن، ويعتقدون انهم تصرفوا وتكلّموا كأفضل ما ينبغي. لكنهم حين تؤدّي بهم حماقتهم الى التذمّر والصراخ، يزداد إذ ذاك الإزدراء بعشق العجوز المتصابي الذي يلذّ لي اكثر من سواي أن أتذوّق وَهْمَ حماسه المبالغ بعد فوات الأوان، وهو يتودّد ويداعي ويتصابى كأنه شاب مهووس خليع. أوليس هذا هو الواقع المؤسف المرير ؟

إسكاناريل : اجل هذه هي الحقيقة المزعجة. ها هي الفتاة تطلّ ومعها خادمتها.

أريسْت : لا تغضبي، يا ليونور، فمن حقّي أن أشتكي. وأنتِ تعرفين جيداً اني لا اقصد ان اغيظك. فإن لم أعارضْ ولم أحتجَّ على تصرّفك رغم المناسبات العديدة التي سنحت لي لأفعل ذلك، وتركت لكِ الحريّة المطلقة لتحقّقي امنياتك بدون ان تحسبي لعواطفي ومشاعري أيّ حساب، فتبعتِ هواكِ وتجاهلتِ مرارة خيبتي. لكني لست مع ذلك نادماً على حسن معاملتي التي أمّنتْ لك مصلحتك بدون أن تأبهي لصداقتي المهدورة.

ليونور : لا افهم لماذا تحدثني الآن بهذه اللهجة. إعلم أن نظرتي اليك لم تتبدّل ولم يَنْقُصْ تقديري صفاتك ومواهبك. وإلّا لكان إغفالي مؤهلاتك وشخصيتك جرماً شنيعاً، وإن كنت أنا قد أرضيت ميلي. فإن شئت أنتِ أن تلبّي رغباتي، سيربطني بك منذ الغد وثاق الزواج المقدس الذي لن تنفصم عراه بيننا أبداً.

أريسْت : على أي اساس تبني تصريحك، يا اخي ؟

إسكاناريل : ماذا تريدين ان تبيّني ؟ ألا تودّين ان تغادري منزل فالير ؟ أنت لم تكلّميني اليوم بتاتاً عن غراميّاتك، ولم تكون منذ سنة على الاقل تحنّين كثيراً وتشتاقين اليه.

ليونور : من الذي رسم لك عني هذه الصورة الجميلة، ووصف لك أوضاعي الرائعة هذه في دنيا الغرام ؟

المشهد التاسع

ايزابيل، وفالير، والمفوّض، والكاتب العدل، واركاست وليزات، وليونور، وإسكاناريل، وأريست.

إيزابيل : ألْتمس منك الصفح الكريم، يا اختي، إن كنت اسأتُ اليك ولطّخت اسمك بما سمحتُ به لنفسي من حرية الكلام. إن الارتباك المفاجئ الذي عراني قد دفعني الى هذه اللفلفات المخجلة. ومثالك الأعلى يدين تصرفي المستهتر هذا. غير أن الحظ قد عامل كل واحد منا بطريقة تناقض الاخرى. لذا لا يسعني، يا سيدي، ان أعذرك. فأنا أخدمك اكثر مما أعرقل مشاريعك. وقد ساهمتِ السماء في تهييء ظروفنا. وثبت لي اني غير جديرة بما تتمناه لي من خير. ففضّلتُ ان أرى نفسي في عصمة رجلٍ غيركَ، لأني لا استحق عطفك عليّ وإخلاصك لي.

فالير : اما أنا فإني أرهن حياتي وسعادتي، يا سيدتي، بمشيئتكِ كي تمنّي بها عليّ حسب رضاك.

أريسْت : تمهّلْ، يا اخي، وارقبْ الامور بصبر وهدوء لعلّ الايام تخفّف من شقائك. ومهما كنتَ أنت مخدوعاً، أرجوك أن لا تستدرّ شفقة اي انسان.

ليزات : انا أقدّر سعيه، واشكر ما يبذله في سبيلي من جهود خيّرة.

ليونور : لست أدري إن كانت مساعدتك تستحقّ التقدير حقّاً، لأن مقدار خدماتك يفوق كل ثمن وثناء.

أَرْكاسْت : وإن حكم عليه حظه العاثر بأن يكون مخدوعاً، أرجو أن تخفّف عليه أوضاعه وطأة خيبة أمله.

إسكاناريل : لا، لا. لا استطيع ان اكتم دهشتي، لان خيانته تطغى على تعقّلي وحسن ظنّي. وأنا لا يسعني أن أتصوّر أن ابليس اللعين ربما كان مصدرّ لؤمها وغدرها. ولو عثرتُ عليها لكنت امتصصت منها بأقسى الوسائل، وبلا رحمة أو شفقة. لأن من يثق بإمرأة مثلها يكون كمن يستجير من الرمضاء بالنار، ما دام جنسها اللطيف قولاً، هو سبب بلايا العالم اجمع فعلاً. لذلك انا اتبرّأ من هذا الجنس الخدّاع الذي لا يُؤْمَن جانبه، وأتمنّى من كل قلبي أن يظل في قبضه الشيطان الرجيم.

أَرْكاسْت : حسناً تفعل، فأنت لا تظلمها.

أريسْت : تعالَ الآن نذهبْ الى بيتي، يا سيد فالير. وسنسعى غداً الى تلافي غضبها.

ليزات : أمّا أنتَ فإن شاهدتَ أزواجاً كالذئاب المسعورة نظيره، فما عليك إلّا ان ترسلهم الى مدرستنا، مدرسة الازواج المغفّلين، لكي نروّضهم.

(تمّت)